

القيادة من منظور أنمة أهل البيت عليه السلام الامام الصادق عليه السلام أنموذجاً

المدرس الدكتور
علي فرحان عبدالله الفكيكي
الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية - لندن
Ali_ff51@yahoo.com
المدرس الدكتور
أثمار ظاهر حبيب
كلية الصيدلة - الجامعة المستنصرية

المقدمة:

رأى الامام الصادق عليه السلام ان الامر صائر لغير آل البيت وإن سرت الدعوة ضد الامويين باسمهم ثم نظر ان الاشتغال بالسياسة الايجابية والمغامرة فيها عبث، وان التعرض للدولة لا يجدي نفعا بل بالعكس يؤدي الى اتساع رقعة الخلاف والفرقة وفي ذلك ذهاب ريح الاسلام فضلا عن الهلكة والخسران، ولاجله قد بذل النصح جهد طاقته. فترى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قد اثر العزلة واغلق بابه لما رأى اختلاف المهاجرين والانصار وتنازعهم على الخلافة وعلم علم اليقين انه مدفوع من حقه فيها لتجاهل القوم او تناسيهم العهد في يوم الغدير حرصاً منه على بقاء كلمة التوحيد وخوفاً من ان تستعيد الجاهلية سلطانها فيرتد العرب عن دينهم الجديد الخفيف الذي احياهم واعزهم وجعلهم حكاماً بعد ان كانوا محكومين، فانزوى عليه السلام في زاوية داره لجمع القرآن وتدوينه. وكذلك نجد سر الحكمة في سيرة الامام الحسن عليه السلام بعقد الصلح مع ابن ابي سفيان لحقن دماء المسلمين لعلمه ان الكوفة ستخذه كما خذلت اياه من قبل اما مهمة الامامة واهدافها الاصلاحية في نهضة سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام فلا تختلف عما قام به اخوه الحسن عليه السلام فالسر واحد من حيث طلب الاصلاح وتحقيق غايته ومراميه وان تختلف اسبابه ودواعيه وظروفه وعوامله. فالامام ابو الشهداء عليه السلام لما ايقن ان القوم وكانت اكثريتهم الساحقة من شيعة ابيه قد اصروا على نقضهم العهد والميثاق واشاحوا بوجوههم عنه ولم يجيبوا داعي الحق. بعد ما بذل كل ما في وسع الامام المصلح المجاهد من مجهود لردهم الى المحجة البيضاء

بالحجج البالغة والمواظ الحسنة فابوا فكانت تضحية سيد الشهداء واصحابه في محاربة اهل الباطل ودولة الظلم اقوى اثراً من القبلة الذرية في نفس قواعد كيان الدولة الاموية. وهكذا فان حب التضحية وافناء الذات في سبيل الصالح العام هو سر في قبول الامام الرضا ﷺ ولاية عهد المامون وهي دون حقه المشروع في منصب الخلافة ولكن مصلحة الامة وخدمة الاوطان هي الهدف الاسمى الذي استهدفه الامام الرضا ﷺ من تولي ولاية العهد. لهذا تجدد الامام الصادق ﷺ قد انصرف الى القيام بعبء الامامة الثقيل فاسس مدرسة الحديث والحكمة لخدمة الثقافة الاسلامية حتى اتسعت افاق العلم والفنون، وخفقت في سمواتها اعلام المعرفة ثم نهض لمقارعة اهل الباطل والبدع فاحمد نارهم وباحث الفلاسفة واهل الكلام الجدليين الذين تصدوا لافساد معتقدات الناس^(١).

إن مدرسة الإمامة التي هي في الحقيقة والواقع امتداد وانعكاس صادق لمدرسة النبوة، قد ابتدأت بأبي الأئمة وسيد الأوصياء والأولياء أمير المؤمنين الإمام علي ﷺ، الذي قال عنه رسول الله ﷺ: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)، والذي قال هو عن نفسه: (علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب). وليس من قبيل الصدف ولا بداعي الاستعلاء والغرور أن يعلو أمير المؤمنين ﷺ المنبر ويعلن للناس (سلوني قبل أن تفقدوني)، ثم يكررها حفيده الإمام الصادق على ملا من العلماء والمفكرين والرواة الذين أموا مدرسته ونهلوا من علومها وإشراقاتها. إن الإمام الصادق ﷺ، هو أحد أعلام هذه المدرسة الربانية، الذي أتاح له عصره أن ينشر فيها من العلوم ما شاء الله له أن ينشر شرقاً وغرباً، ثم يضع منها ما يضيع ويبقى منها ما يدesh علماء الغرب والشرق، ويشير همهم لإعداد دراسات موسعة عما وصلهم من علوم الإمام الصادق ﷺ^(٢).

المبحث الأول

الإطار النظري للقيادة

تعريف القيادة في اللغة:

القود: نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها، ويسوقها من خلفها، فالقود من أمام والسوق من خلف، وقاد البعير واقتاده: معناه جره خلفه^(٣).

والقائد عند العرب الأقدمين هو: المرشد، الدليل، الهادي^(٤).

تعريف القيادة اصطلاحاً:

إن القيادة هي القلب النابض للعملية الإدارية والسياسية والاجتماعية، ولقد أعطى كثير من المؤلفين والباحثين تعريفات مختلفة للقيادة منها:-

١- عرفها المغربي^(٥) بأنها: قدرة الفرد في التأثير على شخص أو مجموعة من الأشخاص وتوجيههم وإرشادهم من أجل كسب تعاونهم وحفزهم على العمل في سبيل تحقيق الأهداف الموضوعية.

٢- عرفها الفكيكي^(٦) بأنها: عملية تنظيم وتوجيه الأفراد للتحرك في الاتجاه السليم، ليقدموا أفضل ما لديهم لتحقيق الأهداف عن طريق التفاعل بين الرئيس والمرؤوس.

أهمية القيادة:

تعد القيادة من ضروريات الاجتماعات البشرية، حيث لا تستطيع جماعة من الجماعات أن تعيش بطمأنينة وتسير بانتظام دون قيادة^(٧).

فوائد القيادة:

للقيادة عدة فوائد ومن أهمها^(٨):-

- ١- تسهم القيادة في التنظيم والترتيب من الاضطراب والفوضى.
- ٢- تسهم القيادة في إقامة العدل والحق والإنصاف، لأن القيادة هي مزيج من السلطة والقدرة وبدون هذه العناصر لا يستقيم أمر الناس.
- ٣- تسهم القيادة في توظيف القدرات والطاقات البشرية وتنميتها.
- ٤- توجيه الطاقات والتنسيق بينها، بما يضمن توحيد جهود العاملين في إطار خطة المنظمة وتصوراتها المستقبلية.
- ٥- القيادة وسيلة التخلص من السلبات وتعظيم الايجابيات أثناء ممارسة البشر لنشاطاتهم الإنسانية.

٦- لا تتحقق الأهداف والغايات في أي عمل مهما كان نوعه ومستواه، إلا من خلال قيامها بأدوارها في التنظيم والتخطيط والتوجيه والرقابة.

الفرق بين الإدارة والقيادة:

يخلط الكثير بين مفهومي الإدارة والقيادة، ويعتبر أنهما نفس المعنى، إلا أنه في الواقع هناك اختلاف كبير بين المفهومين من أكثر من ناحية، ونقطة الاختلاف الأهم بين الإدارة والقيادة هي ما تركز عليه كل منهما، إذ تضع الإدارة كل تركيزها على المخرجات أي نتائج الأداء والمكونات المادية في المنظمة مع إهمال العنصر البشري، وعكس ذلك تماماً في القيادة إذ تركز بشكل كبير على العنصر البشري وتهتم به وتنمية مهاراته وقدراته وتدريبه؛ لتحفيزه على أداء العمل وإنجاز الأهداف. كما أن هناك فروقاً واضحة بين الطرفين، إذ يهتم القائد بالتأثير بالأفراد بالاعتماد على قدراته ومهاراته الشخصية، ويشعر الأيدي العاملة بأنهم محط اهتمام، ويتعامل بحكمة وعقلانية لإشراك العاملين في العملية الإدارية، ويتعد كل البعد عن استخدام السلطة الموكلة له والصلاحيات الرسمية حتى لا تحدد شكل العلاقة بينه وبين مرؤوسيه. كما يواكب القائد التغيرات التي تطرأ في أي وضع راهن، ويسعى دائماً للتغيير المستمر والأخذ بيد مرؤوسيه لتقدم المنظمة وازدهارها، ويشجع الآخرين على التغيير ويحفزهم بأسلوبه الخاص، ولا يشعرهم بأن هناك فرقاً في المسمى الوظيفي في العمل. أما المدير فيكون على عكس القائد بجميع ما ذكر، إذ يلجأ المدير إلى إجبار المرؤوسين على أداء الوظائف وتحقيق أهداف المنظمة بالاعتماد على مجموعة من الإجراءات والقوانين التي رسمتها الإدارة العليا في المنظمة، وتتصف العلاقة بينه وبين مرؤوسيه بأنها رسمية جداً، حيث تخلو من العاطفة والمشاعر نظراً لإهمال العنصر البشري في المنظمة. كما أن المدير لا يهتم لإحداث تغييرات بل إنه يسعى لتحقيق ما رسمته المنظمة دون تقدم أو نمو ملحوظ في أداء المنظمة وبالتالي تبقى على شكلها الاعتيادي، وبالإضافة إلى ذلك فإن المدير يتصف بأنه ذو تخطيط قصير الأجل، لذلك لا يهتم للتغيير بل يركز كل تفكيره في الوقت الراهن للمنظمة ويهمل الوضع المستقبلي لها، ويشار إلى أن المدير بينه وبين مرؤوسيه فجوة واسعة بسبب الاهتمام بالمسميات الوظيفية^(٩).

المبحث الثاني

الإمام الصادق عليه السلام في سطور

أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإليه ينتسب المذهب الإمامي الاثني عشري الذي عرف بالمذهب الجعفري الذي كان رئيسه.

يقول الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سره الشريف في وصيته السياسية: "و(نحن) نفخر بأن مذهبنا جعفري وأن فقهاءنا - وهو البحر اللامتناهي - واحد من آثاره عليه السلام" (١٠).

هو سادس الأئمة الأطهار من أهل البيت المعصومين الذين نص الرسول ﷺ على خلافتهم من بعده. ولد في سنة (٨٣) هجرية وترعرع في ظلال جده زين العابدين وأبيه محمد الباقر عليهما السلام وعنهما أخذ علوم الشريعة ومعارف الإسلام فهو يشكل مع آبائه الطاهرين حلقات نورية متواصلة لا يفصل بينها غريب أو مجهول، حتى تصل إلى رسول الله ﷺ؛ لذا فهو يغترف من معين الوحي ومنبع الحكمة الإلهية. وبهذا تميّزت مدرسة أهل البيت التي أشاد ببناءها الأئمة الأطهار ولاسيما الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام؛ فهي مدرسة الرسالة المحمدية التي حفظت لنا أصالة الإسلام ونقاؤه. وهكذا تبوأ الإمام الصادق عليه السلام مركز الإمامة الشرعية بعد آبائه الكرام وبرز إلى قمة العلم والمعرفة في عصره مرموقاً مهاباً؛ فطأ طأت له رؤوس العلماء إجلالاً وإكباراً حتى عصرنا هذا. لقد كان عامة المسلمين وعلمائهم يرون جعفر بن محمد عليهما السلام سليل النبوة وعميد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فهو الرمز الشرعي للمعارضة التي قادها أهل بيت الوحي عليهم السلام ضد الظلم والطغيان الأموي والعباسي معاً. كما كان العلماء يرونه بحراً زاخراً وإماماً لا ينازعه أحد في العلم والمعرفة وأستاذاً فذاً في جميع العلوم التي عرفها أهل عصره والتي لم يعرفوها آنذاك. لقد عايش الإمام الصادق عليه السلام الحكم الأموي مدة تقارب (أربعة) عقود وشاهد الظلم والإرهاب والقسوة التي كانت لبني أمية ضد الأمة الإسلامية بشكل عام، وضد أهل بيت الرسول ﷺ وشيعتهم بشكل خاص. وكان من الطيعي بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام أن يكون آل البيت هم الطليعة والقيادة المحبوبة لدى الجماهير المسلمة، ومن هنا بدأت فصائل العباسيين تتحرك باسم أهل البيت وتدعو إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، وخلافة ذرية فاطمة بنت رسول الله ﷺ. لقد انسحب الإمام الصادق عليه السلام من المواجهة

المكشوفة ولم تنطل عليه الشعارات التي كان يستخدمها بنو العباس للوصول إلى الحكم بعد سقوط بني أمية، بعد أن ازداد ظلمهم وعتوهم وإرهابهم وتعاضمت نفقة الأمة عليهم. لقد سقط سلطان بني أمية سنة (١٣٢هـ)، ثم آلت الخلافة إلى بني العباس فعاصر حكم أبي العباس السفاح وشطراً من حكم المنصور الدوانيقي بما يقرب من عشر سنوات. لقد انصرف الإمام الصادق ﷺ عن الصراع السياسي المكشوف إلى بناء الأمة الإسلامية علمياً وفكرياً وعقائدياً وأخلاقياً، بناءً يضمن سلامة الخط الإسلامي على المدى البعيد بالرغم من استمرار الانحرافات السياسية والفكرية في أوساط المجتمع الإسلامي. لقد انتشرت الفرق الإسلامية كالمعتزلة والأشاعرة والخوارج والكيسانية والزيدية في عصره، واشتد الصراع بينها، كما بدأت الزندقة تستفحل وتخرق أجواء المجتمع الإسلامي؛ فتصدى الإمام الصادق ﷺ للرد على الملاحدة من جهة وتصدى لمحاكمة الفرق المنحرفة من جهة أخرى. لقد اهتم الإمام عليه السلام ببناء الجماعة الصالحة التي تتحمل مسؤولية تحذير خط أهل البيت في الأمة الإسلامية إلى جانب اهتمامه ببناء جامعة أهل البيت الإسلامية، وتخريج العلماء في مختلف فنون المعرفة ولا سيما علماء الشريعة الذين يضمنون للأمة سلامة مسيرتها على مدى المستقبل القريب والبعيد ويزرعون بذور الثورة ضد الطغيان. ولم يغفل الإمام ﷺ عن تقوية الخط الثوري والجهادي في أوساط الأمة من خلال تأييده لمثل ثورة عمه زيد بن علي بن الحسين ﷺ ومن تلاه من ثوار البيت العلوي الكرام. ولم يكن الإمام الصادق ﷺ ليسلم من هذه المحنة بمحنة الثورة على الظلم العباسي. فقد كان المنصور يطارده الخوف من الإمام الصادق ﷺ ويتصور أنه اليد التي تحرك كل ثورة ضد حكمه، مما أدى إلى استدعائه إلى العراق أكثر من مرة وضيّق عليه وأجرى عليه محاكمة يحل الإمام عن مثلها ليشعره بالرقابة والمتابعة، ثم خلى سبيله. بل قد ذكرت بعض المصادر أن المنصور قد نوى قتله أكثر من مرة إلا أن الله سبحانه حال بينه وبين ما أراد. وهكذا عاش الإمام الصادق ﷺ الفترة الأخيرة من حياته وبعد أن استقرت دعائم الحكم العباسي حياة الاضطراب والإرهاب، وفي جو مشحون بالعداء والملاحقة، إلا أنه استطاع أن يؤدي رسالته بحكمة وحنكة وقوة عزم ويفجر ينابيع العلم والمعرفة ويبنى الأمة الإسلامية من داخلها ويربي العلماء والفقهاء الأمناء على حلاله وحرامه، ويشيد بناء شيعه أهل البيت الذين يمثلون الجماعة الصالحة التي عليها تتكئ دعائم الخط النبوي لتحقيق مهامه الرسالية بعد أن عصفت الرياح الجاهلية بالرسالة الخاتمة،

وتصدى لقيادة الأمة رجال لم يكونوا مؤهلين لذلك^(١١).

كرمه الإمام الصادق عليه السلام وسخاؤه:

بلغ في الكرم شأنًا عظيمًا، ومبلغًا كريمًا، وليس بغريب عليه وعلى بيته النبوي الكريم، وجده رسول الله ﷺ كان أجود من الريح المرسلة شهدت له المواقف العديدة في المدلهمات والغزوات وغيرها بالكرم البالغ الذي لا يخشى معه الفقر عليه الصلاة والسلام.

كان الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في ما جاء في كرمه وبذله ما رواه تلاميذه ومعاصريه: كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء. وهذا عطاء من لا يخشى الفقر.

كما ذكروا عنه أنه شابه جده علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في الإنفاق سراً، وذلك أنه إذا كان الغلس في الليل حمل جراباً فيه خبز ولحم ودراهم على عاتقه، ثم وزعه على ذوي الحاجات من فقراء المدينة، دون أن يعلموا به، حتى مات وظهرت الحاجة فيمن كان يعطيهم بعد موته.

ومن بؤادر جوده وسخائه حبه للبر والمعروف أنه كانت له ضيعة قرب المدينة تسمى (عين زياد)، فيها نخل كثير، فإذا نضج التمر أمر الوكلاء أن يثلموا في حيطانها الثلم، ليدخل الناس ويأكلوا من التمر. وكان يأمر لجيران الضيعة الذين لا يقدر على المجيء كالشيخ والعجوز والمريض لكل واحد منهم بمد من التمر، وما بقي يأمر بحمله إلى المدينة فيفرق أكثره على الضعفاء والمستحقين، وكانت قيمة التمر الذي تنتجه الضيعة أربعة آلاف دينار، فكان ينفق ثلاثة آلاف منها، ويبقى له ألف^(١٢). ومن بؤادر كرمه أنه كان يطعم ويكسو حتى لم يبق لعياله شيء من كسوة أو طعام^(١٣).

ومن بؤادر كرمه وسخائه حبه للضيوف وتكريمه لهم، وقد كان يشرف على خدمة ضيوفه بنفسه، كما كان يأتيهم بأشهى الطعام وألذّه، وأوفره، ويكرّر عليهم القول وقت الأكل: (أشدكم حباً لنا أكثركم أكلاً عندنا). وكان يأمر في كل يوم بوضع عشر ثنات من الطعام يتغدى على كل ثبنة عشرة.

مدرسة الإمام الصادق عليه السلام:

ولما استقل الإمام الصادق بمدرسة الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الباقر عليه السلام، انبثقت من

هذه المشكاة علوم كثيرة اتخذت طابعاً نظرياً لانعدام الصناعة القادرة والتقنية اللازمة للانطلاق العملي، وظهر مما نقله الرواة عن الإمام الصادق ﷺ تفوقه العلمي وجريه وحيداً في عصره في شتى الميادين العلمية، الأمر الذي ترك بصماته فيما بعد على الحضارة الإسلامية المزدهرة، وكان أساساً للحضارة الغربية الحديثة.

معالم حياة الإمام الصادق ﷺ:

والمعالم الهامة البارزة في حياة الإمام الصادق ﷺ وجدتها من منظار بحثنا تتلخص بما يلي:

١- تبين مسألة الإمامة والدعوة إليها.

٢- بيان الأحكام وتفسير القرآن وفق ما ورثته مدرسة أهل البيت ﷺ عن رسول الله ﷺ.

٣- إقامة تنظيم سري إيديولوجي - سياسي.

إن مسألة الإمامة والدعوة إليها يشكل أبرز خصائص دعوة أئمة أهل البيت، منذ السنوات الأولى التي أعقبت رحيل النبي الأكرم ﷺ. كانت مسألة إثبات إمامة أهل البيت ﷺ تشكل طليعة الدعوة في كل أعصار الإمامة. هذه المسألة نشاهدها أيضاً في ثورة الحسين بن علي ﷺ، ونشاهدها بعد ذلك أيضاً في ثورات أبناء أئمة أهل البيت، مثل زيد بن علي. ودعوة الإمام الصادق ﷺ لم تخرج عن هذا النطاق أيضاً. قبل أن نستعرض وثائق هذا الموضوع، يجب علينا أن نعرف أولاً مفهوم (الإمامة) في الفكر الإسلامي. وما معنى الدعوة إلى الإمامة؟ كلمة (الإمامة) تعني في الأصل القيادة بمعناها المطلق، وفي الفكر الإسلامي تطلق غالباً على مصداقها الخاص، وهو القيادة في الشؤون الاجتماعية، الفكرية منها والسياسية. وأينما وردت في القرآن مشتقات لكلمة الإمامة (إمام، أئمة)، فيراد بها هذا المعنى الخاص لقيادة الأمة. ففي بعض المواضع يقصد بها القيادة الفكرية، وفي مواضع أخرى يراد بها القيادة السياسية، أو الاثنين معاً. بعد رحيل النبي ﷺ وظهور الانشقاق الفكري والسياسي بين المسلمين اتخذت كلمة الإمامة والإمام مكانة خاصة، لأن مسألة القيادة السياسية شكلت المحور الأساس للاختلاف. والكلمة كان لها في البداية مدلولها

السياسي أكثر من أي مدلول آخر، ثم انضمت إليها بالتدرج معانٍ أخرى، حتى أصبحت مسألة (الإمامة) تشكّل في القرن الثاني أهم مسائل المدارس الكلامية ذات الاتجاهات الفكرية المختلفة، وكانت هذه المدارس تطرح آراءها بشأن شروط الإمام وخصائصه، أي شروط الحاكم في المجتمع الإسلامي، وهو معنى سياسي للإمامة. إن الإمامة في مدرسة أهل البيت - التي يرى أتباعها أنهم يمثلون أنقى تيار فكري إسلامي - لها المعنى نفسه، ونظرية هذه المدرسة بشأن الإمامة تتلخص فيما يلي:

الإمام والزعيم السياسي في المجتمع الإسلامي يجب أن يكون منصوباً من الله، بإعلان من النبي. ويجب أن يكون قائداً فكرياً ومفسراً للقرآن وعالمياً بكل دقائق الدين ورموزه، ويجب أن يكون معصوماً مبرراً من كل عيب خلقي وأخلاقي وسببي. ويجب أن يكون من سلالة طاهرة نقية وبذلك فإن الإمامة كانت في العرف الإسلامي خلال القرنين الأول والثاني تعني القيادة السياسية، وفي العرف الخاص بأتباع أهل البيت تعني، إضافة إلى القيادة السياسية، القيادة الفكرية والأخلاقية أيضاً. فالشيعة تعترف بإمامة الفرد حين يكون ذلك الفرد متمتعاً بخصائص هي - إضافة إلى قدرته على إدارة الأمور الاجتماعية - قدرته على التوجيه والإرشاد والتعليم في الحقل الفكري والديني، والتزكية الخلقية. وإن لم تتوفر فيه هذه المقدرة لا يمكن أن يرقى إلى مستوى (الإمامة الحقة). وليس بكاف - في نظرهم - حسن الإدارة السياسية والاقتدار العسكري والفتوحات وأمثالها من الخصائص التي كانت معياراً كافياً لدى غيرهم. فمفهوم الإمامة لدى أتباع أهل البيت - إذن - يتجه إلى إعطاء إمامة المجتمع صفة قيادة ذلك المجتمع في مسيرته الجماعية والفردية. فالإمام رائد مسيرة التعليم والتربية وقائد المسيرة الحياتية. ومن هنا كان النبي ﷺ إماماً أيضاً، لأنه القائد الفكري السياسي للمجتمع الذي أقام دعائمه. وبعد النبي تحتاج الأمة إلى إمام يخلفه ويتحمل عبء مسؤولياته، (بما في ذلك المسؤولية السياسية). ويعتقد الشيعة أن النبي نصّ على خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم تنتقل الإمامة بعده إلى الأئمة المعصومين من ولده. ولا بد من الإشارة إلى أن تداخل المهام الثلاث للإمامة: القيادة السياسية، والتعليم الديني، والتهديب الأخلاقي والروحي في الإمامة الإسلامية ناشئ من عدم وجود تفكيك بين هذه الجوانب الثلاثة في المشروع الإسلامي للحياة البشرية. فقيادة الأمة يجب أن تشمل قيادتها في هذه الحقول الثلاثة أيضاً، وبسبب هذه السعة وهذه الشمولية في مفهوم الإمامة لدى الشيعة

كان لابد أن يعين الإمام من قبل الله سبحانه. نستنتج مما سبق أن الإمامة ليست، كما يراها أصحاب النظرة السطحية، مفهوماً يقابل (الخلافة) و (الحكومة) أو منصباً منحصرأ بالأمور المعنوية والروحية والفكرية، بل إنها في الفكر الشيعي (قيادة الأمة) في شؤون دنياها، وما يرتبط بذلك من تنظيم للحياة الاجتماعية والسياسية (رئيس الدولة). وأيضاً في شؤون التعليم والإرشاد والتوجيه المعنوي والروحي، وحل المشاكل الفكرية وتبيين الإيديولوجية الإسلامية. (قيادة فكرية). وهذه المسألة الواضحة أضحت - مع الأسف - غريبة على أذهان أكثر المعتقدين بالإمامة، ولذلك نرى من الضروري عرض بعض النماذج من مئات الوثائق القرآنية والحديثية في هذا المجال: في كتاب (الحجة) من (الكافي) حديث عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ يذكر فيه بالتفصيل ما يرتبط بمعرفة الإمام ووصف الإمام، ويتضمن معاني عميقة ورائعة. من ذلك ما ورد بشأن الإمامة بأنها: (هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول، ومقام أمير المؤمنين ﷺ وميراث الحسن والحسين ﷺ، إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف). وحول الإمام أنه: "النجم الهادي، والماء العذب، والمنجي من الردى، والسحاب الماطر، ومفزع العباد في الداهية، وأمين الله في حلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله، ونظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين". كل ما كان يمارسه النبي ﷺ من مسؤوليات ومهام يتحملها علي ﷺ والأئمة من ولده. وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق ﷺ نرى تأكيداً على إطاعة (الأوصياء) وتوضيح الرواية أن الأوصياء هم أنفسهم الذين عبر عنهم القرآن بأولي الأمر. مئات الروايات المتفرقة في الأبواب المختلفة تصرّح أن مفهوم الإمام والإمامة في الفكر الشيعي ما هو إلا القيادة وإدارة شؤون الأمة المسلمة، وأن أئمة أهل البيت ﷺ هم الأصحاب الحقيقيون للحكومة. وتدل جميعاً بما لا يقبل الشك على أن أئمة أهل البيت ﷺ في ادعائهم الإمامة كانوا لا يقتصرون بالمطالبة على المستوى الفكري والمعنوي، بل كانوا يطالبون بالحكومة أيضاً. ودعوتهم على هذا النطاق الواسع الشامل إنما هي دعوة لحركة سياسية عسكرية لاستلام السلطة. هذه الحقيقة ظلت خافية على الباحثين في العصور التالية،

بينما كانت في فهم أصحاب الأئمة والمعاصرين لهم من أوضح الحقائق، حتى أن (الكُميت) في إحدى قصائده الهاشميات يصف أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنهم ساسة يقودون الناس بطريقة تختلف تماماً عن الطريقة التي يمارسها الحكام الظلمة الذين يعاملون الناس كالبهائم^(١٤).

المبحث الثالث

الامام الصادق عليه السلام وحكام عصره

عاصر الإمام الصادق عليه السلام نهاية العهد الأموي وبداية العهد العباسي فكان شاهداً على كلا الدولتين.

حكام العهد الأموي:

١- هشام بن عبد الملك:

٢- الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

الخليفة الفاسق كما يسميه السيوطي كان فاسقاً، شريباً للخمر منتهكاً حرماً الله أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة^(١٥). فمقتته الناس لفسقه وخرجوا عليه (مع يزيد الناقص). ولما حوَّصر قال: ألم أزد في أعطيتكم؟ ألم أرفع عنكم المؤن؟ ألم أعط فقراءكم؟ فقالوا: ما ننقم عليك في أنفسنا، لكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله وشرب الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله. ولما قتل وقطع رأسه وجيء به يزيد الناقص نصبه على رمح فنظر إليه أخوه سليمان بن يزيد فقال: بعداً له! أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً، فاسقاً ولقد راودني على نفسي^(١٦). وكان صاحب لهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان إليه، وجالس الملهين، وأظهر الشرب والملاهي والعزف^(١٧).

وقرأ ذات يوم: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّنْ وَرَأَيْهِ جَهَنَّمُ يُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشأ، وأقبل يرميه وهو يقول:

فَهَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ

تَوَعَّدَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ

فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَقَنِي الْوَلِيدُ

إِذَا مَا جِئْتَ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ

وعن المبرد النحوي أن الوليد أُلحِدَ في شعرٍ له ذكر فيه النبي ﷺ، وأن الوحي لم يأت من ربه، ومن ذلك الشعر^(١٨):

تَلَعَّبَ بِالْخِلَافَةِ هَاشِمِيٌّ بَلَا وَحْيٍ أَتَاهُ وَلَا كِتَابٍ
فَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي؛

فلم يمهل بعد قوله هذا إلا أياماً حتى قتل.

٣- يزيد بن الوليد بن عبد الملك: وهو المعروف بيزيد الناقص لأنه نقص الجند من أعطيتهم.

٤- إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك: آخر خلفاء بني أمية، أبو عبد الملك، المعروف بمروان الحمار، قيل: لأنه كان لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه، كان يصل السير بالسير ويصبر على مكاره الحرب، ويقال في المثل: فلان أصبر من حمار في الحروب، فلذلك لقب به. وقيل: لأن العرب تسمي كل مائة سنة حمراً، فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقّبوا مروان بالحمار لذلك^(١٩).

حكام العهد العباسي:

وبهذا أسدل الستار على الحكم الأموي الذي دام ألف شهر^(٢٠). لتنتهي بذلك حقبة مظلمة من تاريخ هذه الأمة، سودت وجه التاريخ ظلماً وقتلاً وتشريداً وقهراً، مما يطول تعداده وحصره.

ليبدأ ثمة حكم جديد يتزعمه بنو العباس الذين خرجوا يستنهضون الأمة بشعار الرضا من آل محمد، يعاونهم العلويون في شتى الأقطار والولايات حتى استتب لهم الملك..

فما لبثوا أن انقلبوا على العلويين يوسعونهم قتلاً، وعسفاً وتشريداً، وأذاقوهم مختلف أنواع العذاب، التي لم تكن لتخطر على قلب بشر، بهدف استئصالهم من الوجود، ومحو آثارهم، ليصفو لهم الجو، ولا يبقى من يستطيع أن ينازعهم سلطانهم، الذي يجب أن يكون لهم وحدهم، أو بالأحرى حتى لا يبقى من شأنه ذلك. حتى لقد نسي الناس فعال بني أمية معهم، عندما رأوا فعال بني العباس بهم. وحتى لقد رأينا أحد شعراء ذلك الوقت يقول:

القيادة من منظور أئمة أهل البيت ﷺ الامام الصادق ﷺ أنموذجاً..... (٤١٩)

ثَالِهٌ مَا فَعَلْتَ أُمِّيَّةٌ فِيهِمْ
مَعْشَارَ مَا فَعَلْتَ بَنُو الْعَبَّاسِ
وقال آخر في زمن السفاح:

يَا لَيْتَ جَوْرَ بَنِي مَرْوَانَ دَامَ لَنَا
وَلَيْتَ عَدْلَ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي النَّارِ...^(٢١)

وقد كان الإمام الصادق ﷺ على علم بما ستؤول إليه الأمور، وما تستتر خلفه هذه الشعارات واللافئات من نيات وأهداف خدعوا بها هذه الأمة ومن هنا لم يستدرج الإمام الصادق ﷺ إلى مثل هذه الدعوات بل كان يحذر منها أيضاً لكنه أعطى ملامح الخط السياسي الذي كان ينسجم مع تلك المرحلة دون أن يكون ذلك على حساب الجهاد ضدّ الأمويين والإطاحة بملكهم وسلطانهم^(٢٢).

كما أن الإمام الصادق ﷺ رفض العروض الكثيرة التي كانت تعرض عليه من ذلك عرض أبي سلمة الخلال^(٢٣). الذي أرسل إليه كتاباً فقرأه الإمام ﷺ ثم وضعه على المصباح فحرقه فقال له الرسول - وظن أن حرقه له تغطية وستر وصيانة للأمر: هل من جواب؟ فقال ﷺ: "الجواب ما قد رأيت"^(٢٤).

وفيه يقول أبو هريرة الآبار صاحب الامام الصادق ﷺ:

وَلَمَّا دَعَا الدَّاعُونَ مَوْلَايَ لَمْ يَكُنْ
لَيْثْنِي عَلَيْهِ عَزَمَهُ بِصَوَابٍ
وَلَمَّا دَعَاوُهُ بِالْكِتَابِ أَجَابَهُمْ
بِحَرْقِ كِتَابٍ دُونَ رَدِّ جَوَابٍ
وَمَا كَانَ مَوْلَايَ كَمُشْرِي ضَلَالَةٍ
وَلَا مُلْبِساً مِنْهَا الرَّدَى بِثَوَابٍ
وَلَكِنَّهُ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ حُجَّةٌ
دَلِيلٌ إِلَى خَيْرٍ وَحُسْنِ مَآبٍ

لقد عاصر الإمام الصادق ﷺ من حكام العهد العباسي كل من:-

١- أبو العباس السفاح:

المعروف بالسفاح لكثرة ما سفك من الدماء وهو أول خلفاء بني العباس وملوكهم، وكان أصغر من أخيه المنصور. إنما آلت إليه الخلافة، لأن أباه محمد بن علي كان قد بدأ دعوة بني العباس من خراسان عندما أرسل رجلاً إليها وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ ولا يسمي أحداً باسمه، ثم وجه أباه مسلم الخراساني وغيره وكتب إلى النقباء

فقبلوا كتبه، ثم لم ينشب أن مات محمد، فعهد إلى ابنه إبراهيم، فبلغ خبره مروان (الحمار) فسجنه، ثم قتله، فعهد إلى أخيه عبد الله وهو السفاح، وقتل في مبايعة السفاح من بني أمية وجندهم ما لا يحصى من الخلائق وكان السفاح سريعاً إلى سفك الدماء، فأتبعه عماله في المشرق والمغرب^(٢٥).

وكانت أيام السفاح أربع سنين ولم يشغله تطهير الأرض من بني أمية عن الإمام الصادق عليه السلام لعلمه بما له من المنزلة والمقام وحذراً من أن يتجه الناس إليه فأرسل عليه من المدينة إلى الحيرة ليفتك به لكن الله تعالى حفظه وأنجاه^(٢٦).

٢- أبو جعفر المنصور:

المعروف بالمنصور، والدوانيقي، وكان في غاية الحرص والبخل فلقب "أبو الدوانيق" لحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات.

قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه وهو الذي ضرب أبا حنيفة على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام وقيل: إنه قتله بالسم لكونه أفتى بالخروج عليه، وأذى خلقاً كثيراً من العلماء قتلاً وضرباً وأخذ يتبع آل أبي طالب ويقتلهم شرقتة^(٢٧).

مواقف الإمام الصادق عليه السلام مع المنصور:

كان للإمام الصادق عليه السلام مع المنصور مواقف عديدة منها: روي أن المنصور كتب إلى جعفر بن محمد عليه السلام: لم لا تغشانا، كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه: "ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنتك، ولا تراها نقمة فنزعيك بها، فما نصنع عندك؟!" قال: فكتب إليه: تصحبنا لتصححنا فأجابه: "من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك"، فقال المنصور: والله لقد ميز عني منازل الناس، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، وإنه ممن يريد الآخرة لا الدنيا^(٢٨).

وعن الربيع صاحب المنصور قال: قال المنصور يوماً لأبي عبد الله عليه السلام وقد وقع على المنصور ذباب فذبه عنه ثم وقع عليه فذبه عنه، ثم وقع عليه فذبه عنه، فقال: يا أبا عبد الله لأي شيء خلق الله تعالى الذباب؟ قال: "ليذل به الجبارين"^(٢٩).

وكان بين ولاية المنصور وشهادة الإمام الصادق عليه السلام اثنتا عشرة سنة، لم يجد فيها

الإمام راحة ولا هدوءاً على ما بينهما من البُعد الشاسع فالإمام في الحجاز والمنصور في العراق ومع ذلك فقد كان يتعاهده بالأذى. يقول السيد ابن طاووس رحمه الله: إن المنصور دعا الصادق ﷺ سبع مرّات كان بعضها في المدينة والربذة حين حجّ المنصور وبعضها يرسل إليه إلى الكوفة وبعضها إلى بغداد وما كان يرسل عليه مرّة إلّا ويريد فيها قتله! هذا فوق ما يلاقيه فيها من الهوان وسوء القول^(٣٠).

لمزيد من التفاصيل انظر: صادق العترة، شهادة الإمام جعفر الصادق ﷺ، سلسلة مجالس العترة، معهد سيد الشهداء ﷺ للمنبر الحسيني، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، شبكة المعارف الإسلامية، نيسان ٢٠١١.

المبحث الرابع

قيادة الامام الصادق ﷺ

لقد حقق الرسول الأعظم ﷺ في أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

- ١- تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء.
 - ٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف.
 - ٣- تكوين أمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشرعية قانوناً للحياة.
 - ٤- تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسي يحمل لواء الإسلام ويطبق شريعة السماء.
 - ٥- تقديم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة في قيادته ﷺ.
- ولتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضروري:
- أ- أن تستمر القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب - أن تستمر عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال، على يد مربّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول ﷺ، يستوعب الرسالة

ويجسدها في كل حركاته وسكناته.

ومن هنا كان التخطيط الإلهي يحتم على الرسول ﷺ إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلم مقاليد الحركة النبوية العظيمة والهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه، وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وترية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولوا تبين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلى هذا التخطيط الرباني في ما نصّ عليه الرسول ﷺ بقوله: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يرثا عليّ الحوض).

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم ﷺ. بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده. إن سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ﷺ تمثل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول ﷺ، ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشق طريقه إلى أعماق الأمة بعد أن أخذت طاقتها الحارّة تتضاءل بعد وفاة الرسول ﷺ. فأخذ الأئمة المعصومون ﷺ يعملون على توعية الأمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرسالي للشريعة والحركة الرسول ﷺ وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكم في سلوك القيادة والأمة جمعاء. وتبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وافتتاح الأمة عليهم، والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم؛ فكانوا هم الأدلاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرين في أمر الله، والتأمين في محبته، والذائبين في الشوق إليه، والسابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنساني المنشود. وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمل جفاء أهل الجفاء حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العز على الحياة مع الذل، حتى فازوا ببقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير. ولا يستطيع المؤرخون والكتاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدعوا دراستها بشكل كامل؛ ومن هنا فإن محاولتنا هذه إنما هي إعطاء قبسات من حياتهم، ولقطات من سيرتهم

وسلوكلهم ومواقفهم التي دونها المؤرخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنه وليّ التوفيق. إن حركة أهل البيت عليهم السلام الرسالية تبدأ برسول الإسلام وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله عليه السلام، وتنتهي بخاتم الأوصياء، محمد ابن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله^(٣١).

لقد عرض أهل البيت النبوي الكريم عليهم السلام نقاطاً جديدة مشرقة حول مكانة القيادة القيمية، وخطر القادة المناوئين للفضائل والقيم، مستلهمين ذلك من القرآن الكريم وتعاليم جدهم المصطفى عليه السلام. فالإمام الحسين عليه السلام يؤكد أن فلسفة خلق الإنسان ليست إلا معرفة الله سبحانه، لأن الإنسان يستطيع في ظل المعرفة المذكورة أن يتحرر من الرق والعبودية، ويحظى بالحرية الحقيقية التي هي عبادة الله، ويضمن حاجاته المادية والمعنوية من خلال عبادة الله. حيث يتعرف الناس في كل زمان على القائد الذي يجب عليهم أن يطيعوه، ليلبغوا معرفة الله الحقيقية. أشار الإمام الحسين عليه السلام في هذا الكلام الموجز إلى عدد من النقاط الجوهرية السامية:-

أ - استمرار القيادة الربانية على مر التاريخ البشري: بعث الله تعالى في كل زمان رجلاً لهداية الناس وقيادتهم.

ب - وجوب معرفة الإمام في كل زمان: يجب على أتباع الإسلام الحقيقيين في كل زمان أن يعرفوا إمامهم وهاديهم، ويطيعوه في أعمالهم الدينية والدنيوية، ويعتقدوا أنه إمامهم وقائدهم، ويستهدوا به في حياتهم. إذ أن الإسلام في الوقت الذي يرى فيه أن أعلى درجات الإمامة أو القيادة ضرورية لكمال الإنسان والمجتمع البشري يؤكد ضرورة القيادة السياسية على نحو مطلق في الظروف التي لا تتمهد فيها الأرضية للقيادة السياسية المطلوبة. وبعبارة أخرى: مع أن الإسلام فرض على الجميع أن يهيئوا الأجواء المناسبة للقيادة الكفوءة والحكومة الصالحة بيد أنه لا يلغي ضرورة القيادة السياسية للمجتمع مهما كانت الأحوال، ولا يسمح للمسلمين أن يعيشوا حالة الفوضى، أو أن لا يشعروا بالمسؤولية حيال إقامة الحكومة وتكوين القيادة السياسية^(٣٢).

تتجلى للمرء عظمة أهل البيت ﷺ، أنهم جمعوا في أشخاصهم، أشرف الخصال والصفات، فهم من جهة النسب يعودون الى شجرة النبوة. ومن ناحية العلم فهم ثمرة الرسالة السماوية عقيدةً وأحكاماً وأخلاقاً، وفي الجهاد فهم في قمة الصبر والتضحية والإباء. والإمام جعفر الصادق ﷺ، فرعٌ من هذه الدوحة المباركة ورمز للعترة الطاهرة المحتسبة فقد خلد رسالة جده رسول الله ﷺ، بما بث من علوم ونشر من فقه وحديث جده ﷺ. وقد جسدت حياة الإمام ﷺ، الدعوة الى العدل أمام سلاطين الجور والاستبداد والجهر بالحق أمام دعاة الظلم والباطل والصمود أمام قوى الانحراف والتضليل مع كل ذلك، كان فيض علمه ﷺ، يمد بالمعرفة علماء البصرة والكوفة وواسط والحجاز، وينير عقول الأعلام في عصره، أمثال مالك ابن أنس، وأبي حنيفة وابن جريح، ويحيى ابن سعيد الأنصاري، وأيوب السجستاني، وغيرهم. كان للإمام الصادق ﷺ، مكانة خاصة وفريدة في نفوس كل الذين عاصروه فعامّة المسلمين وجمهورهم كان يرى الامام ﷺ سليل بيت النبوة وعميد أهل البيت ﷺ، ورمز المعارضة للظلم والطغيان الأموي والعباسي، وان جبهه، والولاء له، فرض على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر. فكما أن أهل العلم والصلاح كانوا يرون في الإمام الصادق ﷺ إماماً وعالمًا كذلك كانت رؤية أهل السياسة والحكم لاسيما في مرحلة أفول الدولة الأموية، وصعود نجم العباسيين فقد كانوا يرون فيه الشخصية الاجتماعية والدينية الأولى في الأمة، لذا كانوا يتعاملون مع هذه الحقيقة بحذر شديد، وعينهم على مصالحهم الخاصة الميّنة. وبما أن الأمة شهدت مرحلة دموية ومظلمة مع تداعي الحكم الأموي وتبعاً لذلك تزايدت نقمة أبناء الأمة على المظالم والتجاوزات والانتهاكات الأموية، كان من الطبيعي أن تكون راية التغيير والإصلاح، بل الثورة بيد أصحابها الشرعيين، وهم أهل بيت رسول الله ﷺ، الذين ضحوا وبذلوا لإحياء الدين ومعالمه وقيمه. وفي نفس الوقت بدأت استعدادات العباسيين لانتهاز الفرصة والقفز الى قمة السلطة، مستفيدين من أجواء الرفض والنقمة الجماهيرية من جهة، والمظالم التي لحقت بأهل البيت ﷺ من جهة أخرى، في مقدمتها واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين ﷺ، فكان أول شعار رفعه العباسيون بوجه الأمويين هو ((يا لثارات الحسين)). بيد إن علم الإمام الصادق ﷺ، وبصيرته ومنزلته، تجعله أسمى وأرفع من المزايدات السياسية، فرفض العروض العديدة بالمشاركة في العمل السياسي ضد الأمويين، وأن يكون هو القائد للمسيره، بحيث يتحرك من

خلاله العباسيون ويستفيدون من الشرعية التي يمنحها لهم الإمام ﷺ. هنا الاختبار العسير. فالدولة الأموية ماثلة للسقوط وهذا يعني للشيعه بشكل عام، وأحفاد رسول الله ﷺ، فرصة تاريخية لردّ الحقوق والمظالم، بغض النظر عن الانتقام. إلا أن الإمام الصادق ﷺ، كان له رأي آخر، يستمدّه من بصيرته القرآنية وعلمه الرباني، حيث إن الخوض في دماء المسلمين بحاجة الى منهج متكامل، تكون أطرافه؛ الفرد والمجتمع والقيادة. لذا كان يرى ﷺ، أن أي تحرّك، وإن كان نزيهاً في منطلقاته وأهدافه، فانه لن يصل الى مبتغاه، بسبب الأجواء السياسية الحاكمة التي كان العباسيون يسيطرون عليها. من هنا، نفهم أن مكانة ومنزلة الإمام الصادق ﷺ، لم تكن محصورة في مسجد رسول الله ﷺ، مع عظمة هذا الدور الحضاري، إنما كانت للإمام شخصيته القيادية الفذة التي أعطتنا، وأجيال الأمة دروساً في التعامل مع الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وعدم التسرع نحو المكاسب الآنية^(٣٣).

تحمل الإمام الصادق ﷺ مسؤولية مواصلة المسيرة في ظروف معقّدة وصعبة للغاية. فالانتفاضات تشبّ في طول البلاد وعرضها، والولاة منهمكون بجمع الأموال والثروات الطائلة، والطاعون والقحط يضرب مناطق واسعة منها خراسان والعراق، والجهاز الحاكم يبطش دون رحمة، ويخلق حالة من الذل والخنوع بين الناس. والمشتغلون بالعلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير لم يكن خطرهم غالباً يقلّ عن خطر الساسة والحكام، وهم الذين يفترض بهم أن يكونوا ملاذ الناس وملجأهم، كثير من هؤلاء كانوا يدبجون الفتاوى ليرضوا السلطان والولاة. وكثير منهم كانوا يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس بتوافه الأمور، ويشيرون النزاعات الكلامية الفارغة التي لا تمتّ بصلة إلى الإسلام وإلى معاناة الجماهير. مهمة الإمام الصادق ﷺ في هذه الظروف المظلمة تتلخص في طرح الفكر الإسلامي الصحيح، أي تبين الإسلام كما جاء في القرآن وسنة رسول الله ﷺ مع مكافحة كل الانحرافات والتشويهات الجاهلة والمغرضة، وكذلك التخطيط لإقامة نظام العدالة الإسلامية، وصيانة هذا النظام في حالة إقامته. كلا المهمتين: المهمة الفكرية والمهمة السياسية، تشكّلان خطراً كبيراً على النظام الحاكم. ليست المهمة السياسية وحدها تثير سخط السلطة، فالمهمة الفكرية أيضاً تلغي تلك الأفكار والمفاهيم المنحرفة التي قدمها السلطان ووعاظه

باسم الدين إلى المجتمع. من هنا فإن العملية الفكرية لها الأولوية، لأنها تقضي على الزيف الديني الذي يستند إليه الجهاز الحاكم في مواصلة ظلمه.

من جهة أخرى فإن الأوضاع السائدة مستعدة للفكر الشيوعي الثوري، والحرب والفقر والاستبداد عوامل تغذي روح الثورة، أضف إلى ذلك عامل الأجواء التي وفرها نشاط الإمام الباقر ﷺ في المناطق القريية والنائية إن الاستراتيجية العامة للإمامة هي النهوض بثورة توحيدية علوية ومتطلباتها هي:-

أولاً: إيجاد تحمل فكر الإمامة وتهضمه، وتتطلع بشوق إلى تطبيقه.

ثانياً: إيجاد مجموعة منظمة مجاهدة مضحية.

وهذه المتطلبات تستلزم بدورها نشر الدعوة في جميع أرجاء العالم، وإعداد الأرضية النفسية لتقبل الفكر الإسلامي الثائر في جميع الأقطار، وتستلزم أيضاً دعوة أخرى لإعداد افراد مضحين متفانين يشكلون التنظيم السري للدعوة. وهذا هو سر صعوبة الدعوة على طريق الإمامة الحقّة. فالدعوة الرسالية التي تستهدف القضاء على الطاغوت، وعلى التفرعن والتجبر والعدوان والظلم في المجتمع، وتلتزم بالمعايير الإسلامية، لا بد أن تستند إلى إرادة الجماهير وقوتها وإيمانها ونضجها. خلافاً لتلك الدعوات التي ترفع شعار محاربة الطغاة، وهي تمارس في الوقت نفسه أعمال الطغاة والظلمة في حركتها، دون أن تتقيد بمبادئ أخلاقية واجتماعية. فمثل هذه الدعوات لا تواجه صعوبات الدعوات الرسالية الهادفة، وهذا هو سر عدم تحقق أهداف حركة الإمامة على المدى العاجل، وهو أيضاً سر الانتصار السريع للحركات الموازية لحركة الإمامة (مثل حركة العباسيين).

الظروف المساعدة والأرضية المناسبة التي وفرها نشاط الإمام السابق الباقر ﷺ، أدت إلى أن يظهر الإمام الصادق ﷺ، في جو العذاب الطويل الذي عانى منه الشيعة - بمظهر الفجر الصادق الذي ينتظره أتباع أهل البيت في أيامهم. والإمام الباقر ﷺ ذكر بالإشارة والتصريح ما يركز هذا المفهوم.

عن جابر بن يزيد الجعفي: "سئل الإمام الباقر ﷺ عن القائم فضرِبَ يده على أبي عبد الله ﷺ وقال: هذا والله ولدي قائم آل بيت محمد ﷺ". والقائم هنا طبعاً غير قائم آل

محمد في آخر الزمان، وهو المهدي ﷺ الذي تواترت الروايات لدى كل المسلمين أنه يظهر في آخر الزمان، وأنه الخليفة الثاني عشر من خلفاء رسول الله. القائم هنا بمعناه اللغوي ينطبق على كل من ينهض بوجه الظلم والاستبداد، وهو اصطلاح معروف في مدرسة أهل البيت، ولا يعني ذلك أن يكون القائم بالسيف بالضرورة. بل إنه يقوم بهجوم ثقل خطير، سواء في أسلوب النشاط الفكري أو التنظيمي أو بأية صورة أخرى تستهدف مقارعة الظالمين ومهاجمتهم.

إن الإمام الصادق ﷺ كان في نظر أبيه وفي نظر الشيعة مظهر آمال الإمامة والتشيع. وكأن سلسلة الإمامة قد أدرته ليجسد مساعي الإمام السجاد والإمام الباقر ﷺ. كانه هو الذي يجب أن يعيد بناء الحكومة العلوية والنظام التوحيدي، يجب أن ينهض نهضة إسلامية أخرى.

الإمامان السابقان طويا المراحل الصعبة الشاقة لهذا الطريق اللامع، وعليه أن يقطع المرحلة الأخيرة، والظروف كما ذكرنا قد تهيأت، والإمام استثمر هذه الظروف لينهض برسالته الجسيمة. منذ استلام المسؤولية حتى الوفاة، قضى ٣٣ عاماً في جهاد متواصل، وخلال هذه الأعوام كانت الظروف في مد وجزر، مرة تتجه لصالح مدرسة أهل البيت، ومرة أخرى تعاكسها، مرة تبعث على التفاؤل وعلى أن النصر قريب، ومرة أخرى تشتد الضغوط وتختنق الأنفاس، فيخيل إلى أصحاب الإمام أن كل الآمال قد تبددت. والإمام الصادق ﷺ في كل هذه الأحوال ماسك بدفة القيادة بعزم وتصميم، يجتاز بالسفينة عبر هذه الأمواج المتلاطمة الممزوجة بالأمل واليأس، لا يفكر إلا بما يجب قطعه في المستقبل من أشواط، باعثاً الجد والنشاط والايان في اتباعه للوصول إلى ساحل النجاة^(٣٤).

الخاتمة:

يوصي الإمام لصادق ابنه موسى الكاظم ﷺ: يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها تنش سعيداً وتمت حميداً، يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله عز وجل اتهم الله تعالى في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه، يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات نفسه، ومن سل سيف البغي قتل به،

(٤٢٨)..... القيادة من منظار أئمة أهل البيت ﷺ الامام الصادق ﷺ أنموذجاً

ومن حفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن دخل مداخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر،
ومن دخل مداخل السوء اتهم.

يا بني قل الحق لك وعليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال. يا بني
إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فإن للجود معادن وللمعادن أصولاً وللأصول فروعاً
وللفروع ثمرات، ولا يطيب ثمر إلا بفرع ولا فرع إلا بأصل، ولا أصل إلا بمعادن طيب.

يا بني إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لا
يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها. قال علي بن موسى ﷺ: فما ترك أبي هذه الوصية إلى
أن مات (٣٥).

هوامش البحث

(١) الفكيكي، توفيق علي: الصادق، الرسالة الاولى، مطبعة النجاح، بغداد، العراق، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦ -
١٩٤٧م). ص ١٢-١٤.

(٢) ابراهيم محمد جواد: علوم الامام الصادق ﷺ في نظر علماء الغرب، النبأ العدد ٥٣ شوال ١٤٢١ كانون
الثاني ٢٠٠١.

<https://annabaa.org/nba53/ilumimamsadq.htm>

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ج ١٢، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. ٢٠٠٣.
ص ٣٧٠.

(٤) المناف، جميل كاظم، القيادة والأزمة الحضارية، دار الرشيد، بغداد، العراق. ١٩٨٠. ص ٤٠.
(٥) المغربي، كامل و(آخرون): أساسيات في الإدارة، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن. ١٩٩٥.
ص ١٦٣.

(٦) الفكيكي، علي فرحان عبدالله: دور القيادة في نجاح تطبيق ادارة الجودة الشاملة- من وجهة نظر
الاكاديميين العراقيين في المملكة المتحدة، اطروحة دكتوراه، الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية، ادارة
الجودة الشاملة، بريطانيا، لندن، ٢٠١٦.

(٧) العمرو، عبد الله بن محمد: المنهج في رعاية القادة في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة، مجلة جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لمملكة العربية السعودية، العدد (٥٢)، ٢٠٠٥- ص ٢٤٩.

- (٨) طشوش، هایل عبد المولى: أساسيات في القيادة والإدارة النموذج الإسلامي في القيادة والإدارة، دار الكندي للنشر والتوزيع، أريد، الاردن. ٢٠٠٨. ص ٦٢-٦٣.
- (٩) - الحيارى، إيمان: الفرق بين الإدارة والقيادة : موقع: موضوع
<http://mawdoo3.com/%D8%A7%D9%84%D9%81>
 آخر تحديث: ١٢:٢١، ٩ نوفمبر ٢٠١٨، تاريخ الزيارة: ٢٠١٩/٣/٩.
- (١٠) الخميني: النداء الأخير، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني قدس سره، الوصية السياسية الإلهية لقائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني، الطبعة السادسة، طهران. ص ٥.
- (١١) أعلام الهداية: الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ، (ج ٨)، الطبعة الأولى، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، مطبعة ليلى، قم المقدسة، ١٤٢٢. ص ١٠-١١.
- (١٢) الإمام جعفر الصادق: ٤٧.
- (١٣) تأريخ الإسلام: ٤٥/٦، مرآة الزمان: ١٦٠/٦، تهذيب الكمال: ٨٧/٥.
- (١٤) الخامني: كتاب قيادة الإمام الصادق ﷺ، يجمع محاضرات سماحة الإمام الخامني (دام ظله) حول حياة بعض الأئمة الأطهار ﷺ.
- <http://www.alkawthartv.com/news/147300>.
- (١٥) السيوطي: الحافظ جلال الدين، تاريخ الخلفاء، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، قم المقدسة، إيران. ص ٢٥٠.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٢٥٠-٢٥١.
- (١٧) المسعودي، علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ج ٣) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى المحققة، بيروت، لبنان. ص ٢٣٧.
- (١٨) المسعودي: مروج الذهب، مصدر سابق، ج ٣ ص ٢٤٠-٢٤١.
- (١٩) السيوطي: مصدر سابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.
- (٢٠) المسعودي: مروج الذهب، مصدر سابق، ج ٣ ص ٢٥٩.
- (٢١) مرتضى السيد جعفر: الحياة السياسية للإمام الرضا ﷺ ص ٩٥-٩٦.
- (٢٢) - المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ: أعلام الهداية، الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ، ج ٨ ص ٨٤.
- (٢٣) وهو حفص بن سليمان، أول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس فكان يدعى وزير آل محمد وهو غير أبو مسلم الخراساني الذي كان يدعى بأمين آل محمد، وكان في نفس أبي العباس منه شيء، لأنه كان قد حاول في رد الأمر إلى غيرهم فقتل غيلة في ليلة من الليالي عند منصرفه من مجلس أبي العباس. (أنظر: المسعودي: مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٨-٢٩٩). ولعل هذه الرسالة وغيرها كانت من أسباب قتل العباسيين له، وهو صاحب دعوتهم.
- (٢٤) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٢٩-٢٣٠.
- (٢٥) السيوطي: مصدر سابق، ص ٢٥٧-٢٥٩.

- (٢٦) المظفر الشيخ محمد الحسين، الإمام الصادق ﷺ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، قم- إيران. ص ٩٣.
- (٢٧) السيوطي: مصدر سابق، ص ٢٥٩.
- (٢٨) المجلسي الشيخ محمد باقر: بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الثالثة، بيروت- لبنان. ج ٤٧ ص ١٨٤.
- (٢٩) الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن أبويه القمي: علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان. ج ٢. ص ٢٠٩.
- (٣٠) المظفر: مصدر سابق، ص ٩٤. وكان من آثار مجيء الصادق ﷺ إلى العراق إشادته لموضع قبر أمير المؤمنين ﷺ ودلالته خواص الشيعة عليه، وهناك آثار كثيرة له ﷺ في العراق، راجع ص ١٢٣ تحت عنوان "الصادق في العراق".
- (٣١) أعلام الهداية (ج ٨) الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ، مصدر سابق، ص ٦-٧.
- (٣٢) الريشهري، محمد: القيادة في الإسلام، الفصل الثالث الاستبداد، تعريب، علي الاسدي، الطبعة الأولى، المطبعة، دار الحديث، قم المشرفة، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، جميع الحقوق محفوظة لـ مؤسسة آية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعي، ١٩٩٦. ص ١١٤-١١٥.
- (٣٣) زهير ابراهيم حمودي: مجلة الهدى شهرية ثقافية تصدر عن دار الهدى للثقافة والاعلام، 2013/02/02
- <http://www.alhodamag.com/index.php/post/259>
- (٣٤) الخائمني: قيادة الامام الصادق ﷺ، مصدر سابق.
- (٣٥) المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٧٥، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان. ١٩٨٣. ص ٢٠١-٢٠٢.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: العربية:

- ١- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، (ج ١٢)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. ٢٠٠٣.
- ٢- أعلام الهداية: الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ، (ج ٨)، الطبعة الأولى، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، مطبعة ليلي، قم المقدسة. ١٤٢٢ (٢٠٠١-٢٠٠٢م).
- ٣- الخميني: النداء الأخير، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قدس سره)، الوصية السياسية الإلهية لقائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني، الطبعة السادسة، طهران.

- ٤- الريشهري، محمد: القيادة في الإسلام، الفصل الثالث الاستبداد، تعريب، علي الاسدي، الطبعة الاولى، المطبعة، دار الحديث، قم المشرفة، الجمهورية الاسلامية الايرانية، جميع الحقوق محفوظة لـ مؤسسة آية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعي. ١٩٩٦.
- ٥- السيوطي، جلال الدين: تاريخ الخلفاء، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، قم - إيران.
- ٦- صادق العترة: شهادة الإمام جعفر الصادق ﷺ، سلسلة مجالس العترة، معهد سيد الشهداء ﷺ للمنبر الحسيني، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، شبكة المعارف الإسلامية، نيسان ٢٠١١.
- ٧- الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان.
- ٨- طشوش، هایل عبد المولى: أساسيات في القيادة والإدارة النموذج الإسلامي في القيادة والإدارة، دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد، الاردن. ٢٠٠٨.
- ٩- العمرو، عبد الله بن محمد: المنهج في رعاية القادة في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لمملكة العربية السعودية، العدد (٥٢)، ٢٠٠٥.
- ١٠- الفكيكي، توفيق علي: الصادق، الرسالة الاولى، مطبعة النجاح، بغداد، العراق، ١٣٦٦هـ (١٩٤٦-١٩٤٧م).
- ١١- الفكيكي، علي فرحان عبدالله: دور القيادة في نجاح تطبيق ادارة الجودة الشاملة- من وجهة نظر الاكاديميين العراقيين في المملكة المتحدة، اطروحة دكتوراه، الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية، ادارة الجودة الشاملة، بريطانيا، لندن، ٢٠١٦.
- ١٢- المجلسي الشيخ محمد باقر: بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الثالثة، بيروت- لبنان.
- ١٣- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (ج٧)، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان. ١٩٨٣.
- ١٤- المسعودي، علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى المحققة، بيروت- لبنان.
- ١٥- المظفر، الشيخ محمد الحسين: الإمام الصادق ﷺ، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم- إيران.
- ١٦- المغربي، كامل و(آخرون): أساسيات في الإدارة، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن. ١٩٩٥.
- ١٧- المناف، جميل كاظم، القيادة والأزمة الحضارية، دار الرشيد، بغداد، العراق. ١٩٨٠.

(٤٢٢)..... القيادة من منظار أئمة أهل البيت ﷺ الإمام الصادق ﷺ أنموذجاً

ثانياً: الالكترونية:

١٨- إبراهيم محمد جواد: علوم الإمام الصادق ﷺ في نظر علماء الغرب، النبأ العدد ٥٣ شوال ١٤٢١

كانون الثاني ٢٠٠١. <https://annabaa.org/nba53/ilumimamsadq.htm>

١٩- الحيارى، إيمان: الفرق بين الإدارة والقيادة: موقع موضوع

<http://mawdoo3.com/%D8%A7%D9%84%D9%81>

آخر تحديث : ٩ نوفمبر ٢٠١٨، تاريخ الزيارة: ٢٠١٩/٣/٩.

٢٠- الخامثي: كتاب قيادة الإمام الصادق ﷺ، يجمع محاضرات سماحة الإمام الخامثي (دام ظله) حول

حياة بعض الأئمة الأطهار ﷺ.

<http://www.alkawthartv.com/news/147300>

٢١- زهير إبراهيم حمودي: مجلة الهدى شهرية ثقافية تصدر عن دار الهدى للثقافة والاعلام،

2013/02/02

<http://www.alhodamag.com/index.php/post/259>